رسائل

مولاي العربي الدرقاوي

رضي الله عنهم وأرضاهم



الجزء الأول

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم ❁ الحمد لله رب العالمين ❁ الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ❁ الحمد لله والشكر لله والفضل لله والمنّ لله ❁ اللهم صل على سيدنا محمد بسيدنا محمد ﷺ أزلا وأبدا وعلى آله وصحبه وسلم ❁

منذ زمن وأنا متعلق بشيخ الشيوخ القطب الغوث الفرد الجامع الكبير سيدنا ومولانا

العربي الدرقاوي رضي الله عنهم وأرضاهم
❁ لقد أكرمني الله أنني زرت وتشرفت
بزيارة سيدنا العربي ابن سيدنا أحمد
الدرقاوي رضي الله عنهم وأرضاهم ❁
وكنت في صحبة وخدمة سيدنا الشيخ
القطب الغوث أبو بكر الصديق عبد الناصر
رضي الله عنهم وأرضاهم ❁ في هذه الزيارة
حضر في معية سيدنا الشيخ كوكبة من
المريدين من بلاد مختلفة ❁

والحمد لله على هذه الزيارة التي شملنا سيدنا الشيخ بعطفه وأخذنا معه في معيته ❋ وكما قال سيدي ومولاي عبد السلام بن مشيش : «لا يقف على مقامي شقي» ❋ فكيف بمن يُكرم بزيارة سيدنا ومولانا النبي ﷺ في مواجهته الشريفة كل يوم ❋ حاشا أن يكون شقيا أو محروما أو مقترّا له في الزرق ❋ وكذلك قال سيدي ومولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنهم وأرضاهم : «من فاته الحج الأكبر في مكة المكرمة لا يفوته الحج الأصغر في

زيارتي» ❋ وكذلك قالها ابنه البار وخليفته الأعظم سيدنا الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنهم وأرضاهم ❋

سمعت من سيدي فلان أنه قد زار سيدنا العربي الدرقاوي رضي الله عنهم وأرضاهم ❋ في بني زروال ❋ في قرية بني أحمد ❋ وكان معه اثنين من مريدين سيدنا الشيخ ❋ فنزلنا في مقام سيدنا العربي الدرقاوي ❋ والتقينا بحفيده الخامس ❋ فعزمنا على العشاء والمبيت ❋ ثم قال : «غدا بعد

الإفطار يمكنكم أن تجلسوا أو تذهبوا» ❊ فقلت لسيدي المقدم الحاج الشريف إدريس : «يا سيدي ❊ نبيت في المسجد (الذي يبعد تقريبا 50 مترا عن المقام) أو في المقام» ❊ فقال : «عادة أطلب منهم أن يبيتوا في المسجد ❊ أما لكم فمرحبا وأهلا وسهلا تنامون في المقام» ❊ فكانت ليلة شديد البرد ❊ فأكرمنا بالبطانية والفراش فنمنا ❊ فصلينا الفجر ثم تكلمنا ثم تناولنا

القهوة ❊ وعادة أهل المغرب يقولون للإفطار القهوة ❊ أما الفطور فهو الغداء ❊

فبعد ذلك تحركنا ❊ فقال سيدي فلان : «البارحة رأيت رؤية عجيبة ❊ ونحن في النوم في مقام سيدنا الشيخ العربي ❊ رأيت كثيرا من الأولياء يأتون على هيئة طيور لزيارة سيدنا العربي الدرقاوي ❊ ثم يتساقطون للسلام على سيدي فلان ❊ رضي الله عنهم وأرضاهم ونفعنا بهم في الدارين ❊

وسمعت من سيدي فلان وهو من مريدي سيدنا الشيخ رضي الله عنهم وأرضاهم ونفعنا بهم في الدارين ❊ أنه رأى رؤيا ❊ وفي هذه الرؤيا قال له سيدنا الشيخ : «يا ولدي ❊ اليوم ستدخل ديوان الأولياء ❊ وبعد ذلك جهزت وليـمة لهذه المناسبة وهو الفطور (breakfast) ❊ وسننتظر حتى يأتي سيدنا الشيخ العربي الدرقاوي ❊ وتدخل معه في ديوان الأولياء» ❊ رضي الله عنهم وأرضاهم ❊ ثم علق سيدي فلان

وقال : «لهذا قالوا الأولياء : «للدخول لديوان الأولياء يحتاج إلى شيخك الحاضر معك في زمانك وشيخ من أهل السند يكون قد انتقل» ❋ فرضي الله عنهم وأرضاهم ساداتنا أهل السند والإسناد والإسعاد والإمداد ❋ رضي الله عنهم وأرضاهم وقدس الله أرواحهم العزيزة ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ❁

قد منّ الله على عبده العربي بن أحمد الشريف الدرقاوي ❁ نزيل القبيلة الزروالية دفع الله عنها كل بلية ❁ بمعرفة الشيخ الجليل الشريف الأصيل ❁ ولي الله تعالى أبي الحسن سيدي علي بن سيدي عبد

الرحمن الحسني العمراني ❋ عام اثنين وثمانين ومائة وألف ❋ وذلك بمدينة فاس دفع الله عنها كل باس ❋ و بها توفي رحمه الله سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف ❋ وضريحه رضي الله عنه بحومة الرميلة شهير نفعنا الله ببركاته ❋ وأصله من بني عمران الشرفاء أهل قبيلة بني حسان ❋ ثم انتقل والده إلى مدينة فاس ❋ وبها توفي رحمه الله ❋ وقيل جده هو الذي انتقل إليها ❋

وقد لقب رضي الله عنه بالجمل ❊ والأصل في لقبه بالجمل أنه كان في حال صغره قويا شديدا ❊ وكان ذات يوم سائرا ببعض طرق فاس إذ وجد بها ناقة أو بعيرا صغيرا راقدا ❊ فرفعه ووضعه خارج الطريق ❊ فرآه بعض الناس حين فعل ما فعل فقال : «هذا هو الجمل» ❊ فاشتهر رحمه الله بالجمل عند أهل فاس ❊ فهذا هو السبب في لقبه بسيدي علي الجمل ❊

وأما هو فشريف حسني عمراني كما قلنا ❈ والله ورسوله أعلم ❈

وكان رضي الله عنه من أجلّ شيوخ الطريقة رضي الله عنهم ❈ دائم السكر ❈ دائم الصحو ❈ جامعا بينهما وقويا فيهما القوة الكبيرة ❈ والله على ما نقول وكيل ❈

وكان أيضا من أهل تجريد الباطن ❈ وتجريد الظاهر ❈ ومن أهل التوحيد الخاص ❈ كولي الله تعالى أبي الحسن

الششتري ونظرائه من الأكابر ❁ رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم ❁ وقد أكرمني ربي سبحانه بمحبته ❁ وصحبته سنتين كاملتين ❁ ثم انتقلت بعد ذلك إلى قبيلة بني زروال التي نحن بها ❁ وكنت أزوره كل سنة مرة أو مرتين أو ثلاثة ❁ وربما أكثر ❁ وفي كل زيارة ألازمه للمذاكرة مدة من الزمان ❁

ولما أخذت عنه الورد وهو : أستغفر الله - مائة ❁ اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما - مائة

❇ لا إله إلا الله - ألف مرة وعند انتهاء كل مائة سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى آله ❇ بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب ❇ ثم قال لي رضي الله عنه : «هذا عندنا من طريق أهل الظاهر السادات الناصريين رضي الله عنهم أجمعين» ❇ ثم لقنني الاسم الأعظم وهو «الله» من غير عدد ❇ قال لي أيضا : «هو عندنا من طريق أهل الباطن السادات أولاد ابن عبد الله أهل المخفية بالمدينة الفاسية دفع الله عنها كل بلية» ❇

وحين فرغ من هذا قال لي : «امش وجيء» ❊ فكنت على ذلك كل يوم نجتمع به فيذكرني مع بعض الإخوان من أهل فاس ❊ نجاهم الله من كل باس ❊

فبقيت معه على حال التذكير إلى أن توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه ❊ فنفعني والله تذكيره ❊ وعرفت من هو في الناس على الذكر ❊ ومن هو فيهم على حال الغفلة ❊ ولم يغشمني أحد بعلمه ولا بعمله ❊ لأن الناس منهم من هو على عبادة كثيرة وهم

مع وجود عبادتهم غافلون ❊ ومنهم من
قلّت عبادتهم وهم مع قلة عبادتهم وقلة
علمهم ذاكرون ❊ إذ هم قد عملوا بما علموا
❊ فأورثهم الله علم ما لم يعلموا ❊ كما ورد ❊
وهم أفضل من غيرهم ❊ لأن المطلوب هو
ما هم عليه ❊ لا من يعلم كثيرا ولا يعمل
بعلمه ❊

فلما رأيت فضل المذاكرة وسرها وخيرها ❊
تولعت والله بها ❊ ومن ذلك الوقت وأنا

عليها مع أهل محبتي ❊ قواهم الله وأفناهم فيه عنهم ❊ إذ لم يقوه من لم يفن فيه ❊ كما قال إمام العشاق ولي الله تعالى سيدي أبو حفص عمر بن الفارض في تائيته رضي الله عنه :

فلم تـهوني ما لم تكن فيّ فانـيا
ولم تفنَ ما لم تجتلي فيك صورتي

ولم يقل قوله بنفسه ❊ إنـما قاله بربه ❊ وأما هو فقد ذهب والله مع الذاهبين ❊ وفاز مع الفائزين ❊ ولعنة الله على الكاذبين ❊

وقد تكلم القوم رضي الله عنهم في الفناء وقالوا فيه أقوالا كثيرة ❋ وأبلغها عندنا ❋ والله ورسوله أعلم ❋ قول ولي الله تعالى أبي سعيد بن الأعرابي رضي الله عنه لما سئل عنه ❋ أي عن الفناء فقال : «الفناء أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار ❋ تفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه ❋ وتفنيه عن الأشياء وعن فنائه عن الفناء ❋ لأنه يغرق

في بحار التعظيم» ❊ وقول ولي الله تعالى سيدي أبي المواهب التونسي رضي الله عنه : «الفناء محو واضمحلال ❊ وذهاب عنك وزوال» ❊ إلى غير هذا. ❊

ولا يُدخَلُ على الله إلا من بابين ❊ من باب الفناء الأكبر وهو الموت الطبيعي ❊ وإلا من باب الفناء الذي تعنيه هذه الطائفة ❊ يعني الشاذلية رضي الله عنها ❊ كما قال ولي الله تعالى سيدي أبو العباس المرسي رضي

الله عنه ❉ قلت : «اللهم افتح بصائرنا ونور سرائرنا ❉ وأفننا عنا ❉ وأبقنا بك لا بنا» ❉

إذا كنا به تهنا دلالا
على سائر الحرائر والعبيد
وإن نحن عدنا إلى أنفسنا
يعطل ذلنا ذل اليهود

وفي الحكم العطائية : «لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك ❉ ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك» ❉

وقد أمرني أستاذي المذكور في ذلك الوقت ❋ أن أقيد ما يرد علي من المعاني ❋ وقال لي رضي الله عنه : «مهما وردت عليك معنى من المعاني بادر إلى تقييدها لئلا تفلت لك ❋ إذ هي ترد عليك أولا كبيرة مثل الجبل ❋ فإن بادرت إلى تقييدها قبضتها كما وردت عليك ❋ وإن تأنيت عادت لك كالجمل ❋ وإن تأنيت عادت كالبرطال ❋ فإن تأنيت ذهبت عنك وتركتك ❋ ولابد من ارتباطها بالحس لتبقى لك ❋ إذ هي

كالشاة إن ربطتها بحبل بقيت لك ❊ وإلا فلا ❊ وإن بقيت لك جاءتك أخرى ❊ وجاءتك أخرى وهكذا ❊ وبهذا يحصل لك ولغيرك السير وإلا فلا ❊ ومثل ذلك كالعوام الذي يجر الماء تارة بيمينه وتارة بيساره ❊ فإنه يسير ولا يقف ❊ بخلاف إن كان لا يجر الماء ولا يتحرك فإنه لا يسير» ❊ وهذا ما قال رضي الله عنه ❊

وكنت أقيد المذاكرة التي ترد علي لكن لا على الدوام ❋ بل في بعض الأوقات فقط ❋ ولو كنت أقيدها على الدوام لكان لي منها كثير ❋ ولا نحب الإكثار من الكلام إذ هو من قلة الفائدة عند الأنام ❋ وأقل مذاكرة تكفي إن حضرت النية والاعتناء ❋ وإلا فلا ❋

وها أنا أريد أن أجمع ما شاء الله مما قيدت منها ❋ لينتفع به أهل محبتي في حياتي وبعد موتي إن شاء الله ❋ وحملني على جمعها أيضا

أن يكون لجمعها ببعضها بركة وفضل ❁ إذ الجمع له بركة وفضل ❁ وتكون طريقتنا ظاهرة شهيرة لأحبتنا ولمن أراد أن يقتدي بنا ❁ ولعل في الناس من تسره حين يقف عليها ❁ وفي إدخال السرور على المؤمنين أجر عظيم ❁ ولعل أهل العلم المنكرين لهذا الطريق الذي نحن عليه يجدون ياقوتة نفيسة من العلم بها ❁ إن حصلت بيدهم ❁ فيرجعون من حال الإنكار إلى حال الإقرار ❁ ومن حال الغفلة إلى حال الذكر

❊ فيكون سببا في رحمتهم ❊ والراحمون يرحمهم الله ❊ ولا تخلو إن شاء الله من جواهر العلم ببركة أهل الطريقة رضي الله عنهم ❊

وقد رأيت مناما وأنا إذ ذاك بفاس البالي عمّره الله ❊ في المائة الثانية عشرة ❊ أن بعض الملوك رضي الله عنهم أعطاني قرطاسا ففتحته ❊ فإذا به جواهر عديدة ❊ والملك الذي رأيت سيد أهل غربنا وسيد غيرهم مولانا إدريس بن مولانا إدريس بن

مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بن الإمام الأكبر والسر الواضح الأشهر مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ❁ إذ كنت أزوره في العلم ❁ فظهر لي حين أولتها أن الملك الذي رأيت هو الله عز وجل ❁ والجواهر جواهر العلم ❁ والله أعلم ❁

ورأيت ليلة اليوم الذي رأيت الشيخ وأخذت الورد ❁ ولقنني اسم الجلالة «الله» ❁ الإمام المذكور مولانا علي كرم الله وجهه

ضريح مولانا إدريس الأصغر رضي الله عنه ❁ فأخذته من يده المباركة ❁ ومشيت به إلى المدرسة المصباحية بقصد أن نكرمه بها ❁ ولما وصلت إلى الشماعين استيقظت من نومي ❁ فأخبرت الشيخ بما رأيت ❁ فقال لي رضي الله عنه : «أبشر بخير كبير ❁ فإنك من أهل التصوف رضي الله عنهم» ❁ قلت : لأن الإمام عليا كرم الله وجهه هو إمامهم رضي الله عنه وعنهم ❁ وهو أكبرهم ❁ وهو قطبهم كرم الله وجهه ❁

وقد جار علي حال القبض بعض الأيام
غاية الجور ❊ حتى كاد أن يسلبني من
الإسلام ❊ وأما الخصوصية فقد سلبني منها
وبعدني منها ❊ والله على ما نقول وكيل ❊
فاضطررت إلى ربي ❊ ثم قصدت ضريح
ولي الله الأشهر سيدي أبي الشتاء الخمار نفع
الله به ❊ فبت به أتلو كتاب الله عز وجل
❊ بلا قلب بل باللسان فقط ❊ وأما القلب
فما كان لي منه إلا اسمه ❊ إذ ختمت
القرآن من أوله إلى آخره ❊ وسألت الله

تعالى إثر ذلك باضطرار كبير وافتقار كبير أن يعافيني مما أصابني ❋

ثم أخذني النوم بعد الفراغ من ذلك ❋ فرأيت أني أتلو سورة القصص مع رجل أمي لا يعرف اسمه في اللوح بترتيل كبير وبصوت عال ❋ فلما استيقظت وأنا بالضريح نظرت كتاب ابن منظور ❋ فوجدت به ما أسرني غاية السرور ❋ إذ قال رضي ناقلا عن الكرماني رضي الله عنه : «قراءة سورة القصص في النوم إصابة علم

وفهم ❋ وصواب في الناس» ❋ ثم تحقق لي ذلك بفضل الله ❋ والشكر لله ❋

ومذاكرتي هذه مذاكرة كثيرة وليست هي عندي لواحد من أهل محبتي ❋ بل هي عندي تارة لواحد منهم ❋ وتارة لأكثر من واحد ❋ وتارة لجميعهم رضي الله عنهم ❋ وما ألفتها أي جمعتها حتى ظهر لي فضلها وسرها وخيرها ومزيتها ❋ والله على ما نقول وكيل ❋

ولا ينبغي لعاقل أن يؤلف إلا ما تقبله عقول الناس وأما لا فلا ❁ إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم : «حدث الناس بما يفهمون» ❁ ولا ينبغي له أيضا أن يؤلف إلا ما لم يخاصمه فيه خصيم نفسه لئلا يخاصمه فيه خصيم جنسه ❁ لأن ما يسلمه خصيم النفس حتما يسلمه خصيم الجنس ❁ وإما لا فلا ❁ إذ لا شك أن الأكابر كالجنيد والغزالي والشاذلي والحاتمي ونظرائهم رضي الله عنهم قد رد عليهم

قولهم من لم يبلغ مقامهم ❊ لا يدري
كلامهم إلا من حصل كلامهم ❊ ولم يسلم
لهم إلا من كان حقا منهم ❊ وأما غيره فلا
يمكنه أن يتفقه عليهم ❊ ويشنع عليهم
الأمور البشيعة كالجهل والفسق والسفه
والزندقة والكفر والعياذ بالله من الوقوع في
هذا ❊ إذ لا يقع فيه إلا مطموس البصيرة
ومظلم السريرة ❊ والعياذ بالله ❊

الرسالة الأولى
في الحض على القيام بالمفروض
وبما تأكد من المسنون

1 - ومن المذاكرة : أني أحب من يتعلق بي في أن يقوم بالمفروض ❊ وبما تأكد من المسنون ❊ وأن يكون دائما على نظافة بدنه من وسخه ❊ فأحرى نجسه ❊ ومن شعر وسطه وإبطيه ❊ وظفر يديه ورجليه ❊ ثوبه ❊ ومكانه ❊ وعلى ترك ما لا يعنيه ❊ واستبرائه من بوله ❊ وتأنيه على ذلك حتى

يتحقق ❋ أو نقول يطمئن قلبه بانقطاع بوله ❋ وأن يرجع عن اتباع المحسوسات ❋ وعن سائر العادات والشهوات ❋ ولا يستبعد ذلك إنما يستغربه ❋

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

كما قال ولي الله تعالى سيدي البوصيري رضي الله عنه في بردته ❋ وكما قال أيضا الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي ابن

عطاء الله رضي الله عنه في حكمه : «من استغرب أن ينقذه الله من شهوته ❋ وأن يخرجه من وجود غفلته ❋ فقد استعجز القدرة الإلهية ❋ وكان الله على كل شيء مقتدرا» ❋

ونرى والله أن الواجبات تكفيه مع ما ذكرنا ❋ وتغنيه الغنى الكبير ❋ ولا تكفيه الأعمال الكثيرة مع عدم ما ذكرنا ❋ ومع هذا فلا نحب إلا من يقوم بالواجبات ❋ وبما

تأكد من نوافل الخيرات ❃ والله الموفق والسلام ❃

الرسالة الثانية

في الحث على تعلم العلم الظاهر والعمل بالواجبات وبما تأكد من نوافل الخيرات وحقيقة التصوف

2 - ومنها : فإن شئت أن تطوى لك الطريق ❃ وتحصل في ساعة على التحقيق ❃ فعليك بالواجبات ❃ وبما تأكد من

نوافل الخيرات ❊ وتعلم من علم الظاهر ما
لا بد منه ❊ إذ لا يعبد ربنا إلا به ❊ ولا
تبتعه إذ لا يطلب فيه التجر ❊ إنما يطلب
التجر في الباطن ❊ وخالف هواك ❊ إذ
ذاك ترى عجبا ❊

والخلق الكريم هو التصوف عند الصوفيين
❊ وهو الدين عند أهل الدين ❊ ولعنة الله
على الكاذبين ❊ وكن دائما أيضا فارا من
الحس إذ هو ضد المعاني ❊ والضدان لا

يجتمعان ❋ فمهما تقويت في جهة الحس ضعفت في جهة المعاني ❋ ومهما تقويت في جهة المعاني ضعفت في جهة الحس ❋

واسمع ما وقع لأستاذنا أي سيدي علي الجمل رضي الله عنه في ابتداء أمره ❋ إذ كان قد نقش ثلاثة أمداد من القمح ❋ فأخبر أستاذه سيدي العربي بن عبد الله بذلك ❋ فقال له : «إن زدت في الحس نقصت في المعاني ❋ وإن نقصت منه زدت

في المعاني» ❋ والأمر واضح ❋ لأن الناس بعدما تشمهم مدة طويلة لا تشم فيهم رائحة المعاني ❋ إنما تشم فيهم رائحة العرق ❋ وذلك لأجل أن الحس قد استولى عليهم ❋ فأخذ قلوبهم وجوارحهم ومنافعهم من حيث هي حتى أنهم لا يخوضون إلا فيه ❋ ولا يشتغلون إلا به ❋ ولا يباشرون إلا إياه ❋ ولا يستطيعون مفارقته قط ❋ مع أنه قد فارقه العدد الكبير من الناس فاستغرقوا في المعاني بسبب مفارقتهم إياه مدة عمرهم ❋

رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين آمين آمين ❋ والمعاني كأنها لم يجعلها الله تعالى لهم ❋ مع أن لكل واحد منهم منها ما للبحر من الأمواج ❋ فلو علموها ما اشتغلوا بالمحسوسات عنها ❋ ولو علموها أيضا لوجدوا أنفسهم أنهم فيها بحور لا ساحل لها ❋ والله على ما نقول وكيل ❋

الرسالة الثالثة:

في حقيقة الذكروالترغيب فيه
والحض على الدعوة إلى الله

3 - ومنها : فالذكر هو الركن الأعظم في طريق الله * والعمدة فيها كما علمت * فكن عليه كما أمرت والله يقويك * ونحبك أحبك الله أن تكون على تذكير عباد الله الله * ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم * وحذرهم من الكفر دائما * وذكرهم التواضع دائما * وزهدهم في الدنيا

❊ وأمرهم أن يقنعوا منها بما تيسر كما أمر الله ❊

واعلم رحمك الله أني أول ما استفدت من أستاذي رضي الله عنه أن مكنني من سلتين مملوءتين بالصيفية ❊ فجعلتهما بيدي ولم نجعلهما على قفاي كأقراني ❊ ومع ذلك قد ثقل على نفسي وصعب حتى ضاقت منه غاية الضيق ❊ وتزعزعت وتروعت وتكدرت غاية الكدر ❊ حتى كدت أن

أبكي منه والله ❊ لقد بكيت من أجل ما أصابني من الإهانة والذلة والاحتقار بسببه ❊ إذ كانت لا ترضى به ولا بمثله ❊ ولا تحط رأسها إليه أبدا ❊ وكنت غائبا عن كبرها وتجبرها وتخبثها وتعنتها ❊ ولا أعلم هل هي متكبرة أم لا ❊ ولا فهمني فقيه فيها من جميع من قرأت عليه ❊ وقد قرأت على كثير من الناس ❊

فبينما نحن معها في تلك الحيرة والمحنة ❋ إذا بالشيخ من أهل الكشف الكبير والسر الواضح الشهير قد كوشف بكبري ❋ وكوشف بحيرتي ومحنتي ❋ فأتى إلي وقبض السلتين من يدي ❋ ثم جعلهما لي على قفاي كأقراني الذين هم أحسن وجها وأحسن حالا مني ❋ ولا يبالون بأنفسهم ❋ ولا يتكبرون ❋ ولا يتجبرون ❋ ولا يتخبثون ❋ وقال لي حين جعلهما على قفاي : «هكذا قياس الخير لتنفر شيئا من الكبر»

❊ فانفتح لي إذ ذاك الباب ❊ وهديت منه إلى الصواب ❊ أي عرفت أهل الكبر من أهل التواضع ❊ وأهل الجد من أهل الهزل ❊ وأهل العلم من أهل الجهل ❊ وأهل السنة من أهل البدعة ❊ وأهل العلم والعمل من أهل العلم بلا عمل ❊ ولم يغشمني بعد ذلك سُني بسنته ❊ ولا بدعي ببدعته ❊ ولا عالم بعلمه ❊ ولا عابد بعبادته ❊ ولا زاهد بزهده ❊ لأن الشيخ رضي الله عنه قد

عَرَّفَني الحق من الباطل ❊ والجد من الهزل ❊ فجزاه الله عني خيرا ووقاه شرا ❊

ونحب سيدي أحمد بن عجيبة أيضا أن يحض عباد الله على الصدق في أقوالهم وأفعالهم ❊ وأن يحضهم أيضا على الورع ❊ إذ بهما تقرب عليهم الطريق ❊ وبهما يحصلون على التحقيق ❊ والله على ما نقول وكيل ❊ والسلام ❊

الرسالة الرابعة

في الطريق إلى التخلص من عبودية غير الله

4 - ومنها : فاعلموا رحمكم الله أن الفقير إذا بدل ذكر كل شيء بذكر الله تخلصت له عبوديته لله ❁ ومن تخلصت عبوديته لله فهو ولي الله ❁ ومن كذب فعليه لعنة الله ❁ فلا تذكروا إلا الله ❁ ولا تكونوا إلا لله ❁ إذ من كان لله كان الله له ❁ ويا سعد من كان لله وكان الله له ❁ ويكفي في ذكر الله قوله تعالى ﴿فَاذكُرُونِي أَذكُرُكُم﴾

❀ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه عن ربه عز وجل : «أنا جليس من ذكرني» ❀

وقد كان أستاذي رضي الله عنه يقول لي : «نحب ما نسمع عليك» ❀ فكذلك العربي الدرقاوي يحب ما يسمع عليكم مما يميت نفوسكم ويحيي قلوبكم ❀ لا العكس ❀ إذ لا يشتغل بما يحيي النفوس ويميت القلوب إلا الغافل الجاهل ❀ المطموس البصيرة ❀

المظلم السريرة ❊ إذ المرء ما له إلا قلب واحد ❊ فمهما أقبل على جهة أعرض عن الأخرى ❊ إذ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ كما قال الله تعالى ❊

وقد قال الشيخ الجليل سيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه : «إقبالك على الحق إدبارك عن الخلق ❊ إقبالك على الخلق إدبارك عن الحق» ❊ وقال لي بعض الإخوان رضي الله عنهم : «ما أنا شيء» ❊

فقلت له : «لا تقل ما أنا شيء ❊ ولا تقل أنا شيء ❊ ولا تقل خصني شيء ❊ ولا تقل ما خصني شيء ❊ قل الله ❊ ترعجبا» ❊

وقال لي آخر : «ما دواء النفس» ❊ فقلت : «انسها ولا تذكرها قط ❊ إذ لا يذكر ربه إلا من نسي نفسه» ❊

ولا يتصور في عقولكم أن الكون هو الذي نسانا ربنا كون أنفسنا ❊ ولا حجبنا عن ربنا إلا وقوفنا وفقدنا الكون مع شهواتنا ❊ وأما

لو نسينا كون أنفسنا لوجدنا المكون وفقدنا كون أنفسنا بأسره ❊ كما لا يتصور في عقولكم أن يفقد الإنسان الكون وهو لم يفقد كون نفسه ❊ بل والله لا يكون ذلك أبدا ❊ والسلام ❊

الرسالة الخامسة

في أدب السؤال والمرقعة وحقيقتهما وطريق القوم رضي الله عنهم

5 - ومنها : فالسؤال والمرقعة كلاهما من طريق القوم رضي الله عنهم ❋ لكن نرى كثيرا ممن يصحبنا في هذه الساعة لا يذكر الله تعالى كما يذكرهما ❋ لأن بعضهم قد أخذ عني الورد ثم بادر من حينه إلى لبس المرقعة ❋ إذ كانت بنية المبادرة إلى السؤال ❋ وكان هو المقصود عنده ❋ فلذلك توسط

له بالورد الذي أخذ عنا وبلبس المرقعة ❁

فقلت له حين رأيته فعل ما فعل : «دع

عنك المرقعة إذ هي لك شهرة ❁ واذكر ربك

وأنت على حالك حتى يشتعل قنديلك ❁

وتقوى نورانيتك ❁ فحينئذ إن لبست المرقعة

والدائرة لا يضرك ذلك» ❁

ولا شك أن السؤال والمرقعة كلاهما ثقيل

على النفس وخفيف عليها ❁ فمن وجد

خفيفة فليتركهما ❁ ومن وجد ثقيلة

فليأخذهما ❊ ولا يأخذ الجهة التي تخف ❊
إذ الإخلاص في التي تثقل ❊ والإخلاص
هو الحاجة ❊ أو يأخذ الجهة التي هي
الإخلاص فيها أقل من الأخرى ❊بل
يأخذ الجهة التي هي الإخلاص أكثر ❊
وهكذا حتى يستوي عنده الخفيف والثقيل
❊ والممدوح والمذموم ❊ ويصير الإخلاص
في الجهات كلها ❊ فحينئذ يكون حرا ❊
ومن كان حرا كان والله وليّا ❊

وقد تفرست فيمن ترك العلائق كلها إلا السؤال الذي هو أضعف الأسباب ❁ لكن لم يذق ما ذاق من ترك العلائق ولم يشم رائحة ذلك ❁ فظهر لي أن ذلك من سكونه إلى شهوة نفسه وهو ما يعطاه ❁ ولو تخلص منها لقويت نورانيته ❁ وضعفت بشريته ❁ وذاق ما ذاقت الرجال رضي الله عنهم ❁

وقد كتب الجنيد إلى بعض إخوانه : «من أشـار إلى الله وسكن إلى غيره ابتلاه الله ❁ وحجب ذكره عن قلبه وأجراه على لسانه

❋ فإن انتبه وانقطع عما سكن إليه ورجع إلى ما أشـار إليه كشف ما به من المحن والبلوى» ❋

ولا يتصور في عقولكم أن يكون الفقير ليس مع شيء من الأشياء قط ثم لم يكن في حضرة الله ❋ حال أن يكون ذلك ❋ لأن من علت همته عن الأكوان وصل إلى مكونها ❋ والوصول إليه وصول إلى العلم به ❋ فارحلوا عزما عما سكنتم إليه ❋ أي شيء

كان ❁ ولا تسكنوا إليه قط ❁ لقد خاب من رضي دونك بدلا ❁ ولقد خسر من بغى عنك متحولا ❁

لكل شيء إن فارقته عوض
وليس لله إن فارقت من عوض
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب
فلا صورة تجلى ولا طرفة تجتنى

شتان بين من همته الحور والقصور ❁ وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور ❁ كما

قال ولي الله تعالى سيدي أبو مدين رضي الله عنه : واحذروا غاية جهدكم من الاشتهار ❋ إذ في إهمال الظاهر والباطن من الفوائد خرق العوائد ❋ ولا نرى إلا من يبر بهما دائما سرمدا ❋ والسلام ❋

الرسالة السادسة

في الحض على إماتة النفس والاشتغال بالخالق عن المخلوق ليتحقق الوصول إلى الله ومعرفته

6 - ومنها : فاعلموا رحمكم الله أني كنت مع أخي في الله ❊ الولي الصالح الشريف الحسني أبي العباس سيدي أحمد الطاهر رحمه الله ❊ بمسجد القرويين عمرها الله ❊ وكلانا قوي الشهود حينئذ ❊ فإذا به قد تفتّر ❊ أو نقول ضعف حتى صار يقع في الخوض كعامة الناس ❊ فقلت له بعنف

وغضب : «إن شئت أن تربح فاضرب واطرح» ❋

وقلت أيضا لبعض الإخوان : «ألا أخبرني أنه قد ضرب يهوديا لعنه الله بلا سبب ❋ بل بعجبه وظلمه ❋ لا تضرب يهوديا ولا نصرانيا ولا مسلما ❋ واضرب نفسك ❋ وواظب على ضربها حتى تموت ❋ ولا بد ولا بد ❋ وأنتم يا إخواني كذلك ❋ دعوا عنكم الخوض بالكلية ❋ إذ هو من أعظم

البلية ❁ ولا يناسب مقامكم ولا يوافق حالكم ❁ ولا تذكروا الناس إلا بخير ❁ إذ لا يشكر الله من لم يشكر الناس كما قال عليه الصلاة والسلام ❁

ونرى والله ورسوله أعلم أن من لم يشاهد الناس ❁ أي غاب عن شهودهم ❁ لم يشاهد الله شهودا كاملا ❁ إذ الكامل هو الذي لا يحجب بالمخلوق عن الخالق ❁ ولا بالخالق عن المخلوق ❁ أو بالفرق عن الجمع

❊ ولا بالجمع عن الفرق ❊ أو بالأثر عن المؤثر ❊ ولا بالمؤثر عن الأثر ❊ أو بالشريعة عن الحقيقة ❊ ولا بالحقيقة عن الشريعة ❊ أو بالسلوك عن الجذب ❊ ولا بالجذب عن السلوك ❊ وهكذا ❊

فهذا هو الواصل ❊ وهذا هو الكامل ❊ وهذا هو العارف ❊ وهذا هو التالف ❊ سوى المجذوب الغائب عن إحساسه فليس بتالف ❊ والسلام ❊

الرسالة السابعة

في الحض على الاشتغال بالله وحده
عن كل من سواه

7 - ومنها : فاشتغلوا بما أمركم به ربكم ❊ ولا عليكم فيمن يتسلط بإذايته إليكم ❊ سواء كان منكم أو من غيركم ❊ فإنكم إذا لم تنتصروا لأنفسكم ❊ فالله تعالى ينصركم ويتولى أمركم ❊ وإذا انتصرتم إليها وتوليتم أمرها ❊ وكلكم الله سبحانه إليها ❊ ولا

تقدرون على شيء ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ❁

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي قاسم الخصاصي رضي الله عنه : «لا تشتغل قط بمن يؤذيك ❁ واشتغل بالله يرده عنك ❁ فإنه هو الذي حركه عليك ليختبر دعواك في الصدق» ❁ وقد غلط في هذا الأمر خلق كثير فاشتغلوا بإذاية من آذاهم ❁ فدام الأذى مع الإثم ❁ ولو أنهم رجعوا

إلى الله لردهم عنه ❊ وكفاهم أمرهم ❊ والسلام ❊

الرسالة الثامنة

لا حياة للقلب إلا بفراغه من حب الدنيا وموت النفس

8 - ومنها : فكونوا رحمكم الله على ما يميت نفوسكم ويحيي قلوبكم ❊ وأصل المحاسن من حيث هي هي من فراغ القلب من حب الدنيا ❊ كما أن أصل القبائح من

حيث هي هي عمارته لحبها ❁ وقد كتبت
لبعض الإخوان بعد كلام تقدم ❁ سبب
الفسق من حيث هو حب الدنيا ❁ إذ
المقبل عليها بقلبه وجوارحه هو الفاسق
الكبير والظالم الكبير ❁ فلولا أن الإيمان
قد تمكن من قلبه لحكمنا بكفره ❁ فكونوا
رحمكم الله على ما يميت نفوسكم ويحيي
قلوبكم كما قلنا لكم ❁ إذ لا وصول لنا إلى
حضرة ربنا إلا بعد موت نفوسنا ❁ ولو
علمنا ما علمنا كما قال الشيخ الجليل ولي الله

تعالى سيدي أبو مدين رضي الله عنه : «من لم يمت لم ير الحق» ❊

وقد اشتكى إلينا بعض الإخوان بظالم قد تقوى عليه ❊ فقلنا له : «إن شئت أن تقتل من ظلمك فاقتل نفسك ❊ فإنك تقتل بقتلها جميع الظالمين ❊ ولعنة الله على الكاذبين» ❊

ثم قلنا لبعضهم رضي الله عنهم : «الخذلان كل الخذلان أن تظهر لك صورة نفسك ثم

لم تخل دارها ❁ ولم تمح آثارها» ❁ وذلك بأن تحملها دائما ما يثقل عليها حتى يقتلها ❁ إذ في قتلها حياة القلب ❁ كما قال بعض السادات : «ما حياة القلب إلا في إماتة النفس» ❁ وقال بعضهم : «المحبة عروس ومهرها النفوس ❁ ما تحيا القلوب إلا بـموت النفوس» ❁ إلى غير هذا ❁

وقلنا لبعضهم إذ كان قد ضرب يهوديا لعنه الله عُجبا منه وظلما وجورا فأخبرني بذلك :

لا تضرب يهوديا ولا نصرانيا ولا غيرهما ❃
وإن كان ولابد لك من الضرب فاضرب
نفسك ❃ وواظب على ضربها حتى تقتلها
❃ ولا تتركها حية» ❃ وهكذا نحب إخواني
أن يكونوا ❃ إذ العيوب كلها في الفقير
الحي النفس ❃ أما الفقير الميت النفس فهو
سالم العيوب ❃ وهو دائما شاهد الغيوب
❃ وهو سيد الناس بأسرها رغما على أنفهم
❃ والله تعالى أعطاه ❃

ونؤكد عليكم تأكيدا محتما أن تكونوا على النظافة والمسكنة والقناعة دائماً سرمدا ❊

ولا يتمسكن حقا إلا من قتل نفسه وعرف ربه ❊ ومن لا فلا ❊ والجمع على الله يجمع على الله ❊ والجمع على غير الله يجمع على غير الله والعياذ بالله أن يكون مع الله غير الله ❊ «كان الله ولا شيء معه ❊ وهو الآن على ما عليه كان» ❊ والسلام ❊

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ❊ سُبحَانَ

رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ❊ وَسَلَامٌ على المُرسَلِينَ ❊ وَالحَمدُ لِلّٰهِ رَبِّ العَالَمِين ❊